Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتجه عبد الله ساعف إلى الماضي، بتصريح مؤكد يستجيب فيه، كما مر بنا في حالات أخرى مشابهة، لرسالة تلح عليه في الجواب. من المفهوم أن هذه ذريعة نصية تستدعي الكتابة بوصفها جوابا تشرح وتحلل وتؤرخ، وهي تنتج، في نفس الآن، محكيات صغرى تبرز من خلالها قسمات الشخصية المتفاعلة مع السيرورة الحدثية. هناك إحالات على الطفولة، قد تكون جزئية ، ولكن التركيز على المسار السياسي والفكري ، من خلال التحولات التي أفرزها في الذات ، يشكل علامة على أن الكتابة السيرذاتية تتفاعل مع المسار المذكور وتحتويه، بامتصاص لا يحد، اعتمادا على القواعد التركيبية والنحوية التي تنتظم فيها.

نتواجه في النص الذي كتبه العربي باطما مع قلق وجودي حاد: الرغبة في الكتابة الصريحة عن الذات، والخوف من الموت. هناك توقع غامض واحتياج ملح، ويبدو أن العلاقة القائمة بينهما ترتبط بالخوف من التلاشي أو الزوال. إن الكتابة السيرذاتية محاولة للإيهام بديمومة الوجود الفردي وحماية مساره التاريخي من الاندثار. ويمكن أن يُرى هذا المسار كانبعاث متجدد للأنا، بحيث تضفي عليها الكتابة نوعا من القداسة والجمال. ولذلك تمسي السيرة الذاتية الصيغة النهائية المفترضة للكينونة الماضية في اكتمالها المطلق. يتصور العربي باطما أنه أنهى بكتابة سيرته الذاتية مسيرة حياته كله، وأنه شعر بالخلاص الذي تتعادل حالاته المعنوية مع الموت المؤجل إلى حين. الموت محفز على الكتابة والسيرة الذاتية، كإنجاز لهذه الكتابة، مشروع حياة أخرى تتحقق عبرالنص وفيه وفي جميع القراءات والتأويلات التي يمكن أن تُسبغ عليه.

إذا سلمنا بأن النفي هو الحافز المعنوي الذي كان وراء تأليف (الإلغيات)، فإن الشعور اليومي به لا يختلف ، في شيء ، عن الحرمان . يشعر المختار السوسي بالحاجة الدائمة إلى التواصل، ولذلك نراه يُغرق هذا الحرمان في التأمل والتأليف، في الاستحضار والتسجيل، في الإنصات إلى الذات والبوح بمكنوناتها معا. وإذا كان المؤلف لم يختر مسبقا لهذا كله صيغة تجنسه ، فإنه ، بحكم الإنجاز الذي حقق به قدرا من التراكم، صار أقرب ما يكون إلى سرد المتغيرات التي تطرأ على الوجود الفردي في أشد حالاته النفسية والحياتية تغيرا. ولذلك يمكن أن تقرأ (الإلغيات) كنص سيرذاتي حكى فيه المؤلف، الذي هو في نفس الوقت شخصيته ، تجربة حياته ومنعرجات واقعه ماضيا وآنيا (وقت النفي في إلخ). وهو نص سيرذاتي يتصف بالتعدد لأنه حوى طرائق تعبيرية أخرى (التأريخ، المراسلات، الإخوانيات، اليوميات...)، غير أن مركز الاستقطاب ظل مشدودا إلى الذات بوصفها بؤرة التلقي والاستجابة.